عابدات زاهدات
جارية سوداء

obeikandl.com

obeikandl.com

عابدات زاهدات
جارية سوداء

ومن العابدات الزاهدات مجهولات الأسماء ، جارية سوداء كان "عطاء ، ومجاهد" ، يختلفان إليها فى ناحية من نواحى "مكة" تبكيهما ، ثم يرجعان [1] .

فانظر إلى هذه المرأة العابدة ، الزاهدة ، والتى كانت تقيم فى ناحية من نواحى "مكة المكرمة" يذهب إليها "عطاء ، ومجاهد" لتذكرهما بالله –عز وجل– والخوف من لقاء الله سبحانه ، كما أنه دليل حاسم على فقه الجارية العابدة حيث إنها أبكت " عطاء ، ومجاهد " ودليل أيضاً على رقة قلب الرجلين ، والخوف من العاقبة .

وصدق الله تعالى إذ يقول :

" إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ " [2] .

وهناك عابدة أخرى من مجهولات الأسماء يروى لنا عنها مالك بن دينار فيقول : " رأيت امرأة "بمكة" من أحسن الناس عينين فكان النساء يجئن فينظرن إليها ، فأخذت فى البكاء .

---

(1) صفة الصفوة / جـ صـ٤٤٩ .

(2) سورة الأنفال آية رقم (٢) .

فقيل لها : " تذهب عيناك " فقالت المرأة العابدة : إن كنت من أهل الجنة فيبدلنى الله عينين أحسن من هاتين ، وإن كنت من أهل النار فسيصيبها أشد من هذا ، فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها [1] –رحمها الله تعالى– .

فانظر إلى هذه العابدة ، الزاهدة الخاشعة والتى بكت بكاءً مراً خشية لقاء الله –عز وجل– وعقابه للعصاة ، ولما أن قال لها الناس : رفقاً أيتها المرأة بنفسك ، وارحمى عينيك حتى لا تصاب العين بأذى ، من مرض أو عمى فكانت إجابة العابدة الزاهدة إجابة تخرس كل الألسن حيث إنها قالت إن أدخلنى الله –عز وجل– الجنة فسيبدلنى بعينين أحسن وأجمل وإن كانت الأخرى فسيصيب عينىّ من العذاب ما هو أشد وأنكى وآلم حيث النار لا تترك بصراً ، ولا جلداً ولا عظماً إلاَّ وستحرقه ، وتذهب به ، وستكون هذه الجوارح شهوداً على ابن آدم فى الدار الآخرة ، وهى من بين الجوارح التى ستلتهمها النار يقول تعالى :

" ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ " [2] .

(1) ذاته .

(2) سورة يسٓ آية رقم (٦٥)

فانظر إلى هذه العابدة بعين الاعتبار ، والاتعاظ حيث إنها آثرت الآخرة على الدنيا ، وفضَّلت أن تعيش بلا عينين فى سبيل النعيم الأخروى ، فهؤلاء وأمثالهم من الذين تعنيهم الآية :

" فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ " [1] .

وهذه عابدة ثالثة كانت حكيمة ، مجاورة " بمكة المكرمة " يقول " المغازى " : " دخلنا عليها ذات يوم فقالت لها امرأة كانت تخدمها : "إخوانك جاءوك يحبون أن يسمعوا كلامك يقول " المغازى " : فبكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت : " إخوتى ، وقرة عينى مثّلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم فما ظننتم أنه يجوز فى ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد فى قبوله ، وتمام النعمة فيه وما خفتم أن يرد فى ذلك اليوم عليكم فخذوا فى إصلاحه من اليوم ، ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البذل ، ولا يقدر على الفداء ، يقول : ثم بكت طويلاً ، ثم أقبلت علينا فقالت : "إخوتى ، وقرة عينى إنما صلاح الأبدان ، وفسادها فى حسن النية وسوءها ، إخوتى وقرَّة عينى إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له ، وانقطاعهم إليه ، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ، ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله ورسوله

(1) سورة النازعات الآيات (٣٧: ٤١) .

، إخوتى وقرَّة عينى كَلَمَ الخوف قلوب أهله فاقتطعهم والله ، وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات ، إخوتى وقرَّة عينى بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره ، ويقدر ما تقبلون عليه ذلك يقبل عليكم ، ويزيدكم من فضله ، والله واسع كريم [1] .

فهذه امرأة عابدة من العابدات اللائى يخشون ربهم ، وتتجافى جنوبهم عن المضاجع طمعاً فى رحمته ، وخوفاً من عذابه فتراها تخاطب زوَّارها بأدب ، وتواضع قائلة لهم : " إخوتى وقرَّة عينى انظروا إلى الدار الآخرة واجعلوها نصب قلوبكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعملوا لدارٍ لا منجاة فيها لأحد إلا من أتى الله بقلب سليم ، ثم تعرب المرأة عن حكمة بالغة تعد فى الحقيقة من الكلمات العوالى ، والحكم الغوالى حيث تقول: " إنما صلاح الأبدان وفسادها فى حسن النية وسوءها " وهذه ترجمة حقيقية لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : " نية المرء خير من عمله " ، وقوله عليه الصلاة والسلام : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليها ، وقال عليه الصلاة والسلام : " ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " .

(1) ذاته .

كما دللت وبرهنت على أن المتقين إنما نالوا محبة الله بحب عباد الله لهم حيث وضع لهم القبول فى الأرض فإذا أحب الله عبداً أمر جبريل أنه أحبَّه ثم يأمره أن ينادى فى أهل السماء إن الله أحبَّ فلاناً فأحبوه ثم يوضع له القبول فى الأرض فيحبه أهل السماء وأهل الأرض ، وكذلك إذا كره الله عبداً يأمر جبريل بكراهيته ، ثم ينادى فى أهل السماوات إن الله أبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له القبول الأرض قبيبغضه أهل السماوات وأهل الأرض ، وفى حديث صحيح يقول النبى –صلى الله عليه وسلم– : " ثلاثة من كن فيهم وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما وأن يحب المرأ لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار " .

والحب إن ملك النفوس أعزها والعارفون بربهم علماء

وبقدر طاعتنا لله ، وحبنا لرسوله –عليه السلام– يحبنا الله تعالى ويكلأنا برعايته ، ويعصمنا بحفظه ، ويفيض علينا من نعائمه وبقدر إقبالنا عليه –عز وجل– يقبل علينا بخيره ويزيدنا من فضله والله واسع كريم .

obeikandl.com

جوهرة العابدة

obeikandl.com

obeikandl.com

جوهرة العابدة

هى العابدة ، الزاهدة "جوهرة العابدة البراثية " ، فقد نزلت "براثاً " وكانت مع زوجها " أبو عبدالله البراثى " .

ويروى لنا " حكيم بن جعفر " عن " جوهرة العابدة " فيقول : "كانت " جوهرة " امرأة " أبى عبدالله البراثى " جارية لبعض الملوك فعتقت ، فخلعت الدنيا ، وزهدت فيها وضربت وجه عشاقها حيث يقول الصوفى الزاهد : " الحسين بن منصور الحلاج " لسائل سأله كيف أصل الله ، فقال له " الحلاج " : بينك وبين الله خطوتين ،

الأولى : أن تضرب بالدنيا وجه عشاقها .

والثانية : أن تسلم الأمور لأربابها .

لا تدبر لك أمرا فألوا التدبير هلكى
سلم الأمر إلينا نحن أولى بك منك

ويقول الله –عز وجل– فى كتابه الكريم :

" وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ... "[1] .

وبعد أن خلعت "جوهرة" الدنيا ، وزهدت فيها ، لزمت " أبا عبدالله البراثى " فتزوجها ، وتعبدت [2] .

---

(١) سورة لقمان : من الآية ٢٢ .

(2) صفة الصفوة / لابن الجوزى ، تحقيق أحمد بن على جـ صـ٥٧٥ ط دار الحديث بالقاهرة .

ويروى لنا زوجها " عبدالله البراثى " عن " جوهرة " ، فيقول : " قالت لى "جوهرة" يوماً : يا أبا عبدالله ، النساء يحلين فى الجنة إذا دخلنها ؟ قلت : نعم ، قال : فصاحت "جوهرة" صيحة غشى عليها ، فلما أفاقت قلت ما هذا الذى أصابك ؟ قالت جوهرة : ذكرت حالى تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة ، وقد رأت "جوهرة" فى منامها خياماً مضروبة ، يعنى خياماً قد نصبت ، فقالت " جوهرة " : لمن ضربت هذه الخيام ؟ فقيل لها : للمجتهدين بالقرآن فكانت "جوهرة" بعد ذلك لا تنام ، يعنى أخذت فى قراءة القرآن ، وأسهرها تلاوته ، وشغلت نفسها بقراءته ويقول "البراثى" : " كانت "جوهرة" تنبهنى من الليل وتقول : يا أبا عبدالله " كاروان رفث" ومعناه قد سارت القافلة ، وهنا تدعوه "جوهرة" إلى السهر فى العبادة وقضاء الليل فى الذكر ، فقد بدأ المسيرة قافلة العبَّاد حيث أبت عيونهم الاكتحال بالنعاس ، وتجافت جنوبهم عن المضاجع خشية من الله –عز وجل– وطمعاً فى رحمته وخوفاً من عقابه .

ويروى لنا " حكيم بن جعفر " فيقول : " كنا نأتى " أبا عبدالله البراثى" ابن أبى جعفر "الزاهد" وكان أيضاً يسكن " براثاً " وكانت له امرأة متعبدة يقال لها " جوهرة " وكان " أبو عبدالله " يجلس على حُلَّة خوص بحرانية ، و "جوهرة" جالسة حذاءه أى بمساواته على جُلَّة أخرى مستقبلة القبلة فى بيت واحد فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته ، فقلنا : " يا أبا عبدالله " ما فعلت بالجلة التى كنت تقعد عليها ؟

فقال : إن "جوهرة" أيقظتنى البارحة فقالت : "أليس يقال فى الحديث " إن الأرض تقول لابن آدم ، تجعل بينى وبينك ستراً وأنت غداً فى بطنى ؟ قال : قلت : نعم ، قالت : فاخرج هذه الجلال ، لا حاجه لنا فيها ، فقمت والله فأخرجتها هذا زهد حقيقى ، وخشية لله –عز وجل– فلقد كانت "جوهرة" جارية ، وخادمة لدى سيدها ، ولما أعتقت زهدت فى الدنيا ، وشمّرت عن ساعد الجد واجتهدت فى العبادة ، ومع هذه العيشّة القاسية ، وشظف العيش ولم تنل من النعيم ، ولا نصيب من حظ الدنيا إلا القليل ومع ذلك نراها تقول : ذكرت حالى تلك ، وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة فى هؤلاء المنغمسين فى الشهوات ، والغارقين فى الملذات ، والجارين فى تحقيق الطموحات ، والآكلين لأموال اليتامى ، والناهبين للمال العام ، والظالمين لغيرهم ، ماذا يقولون لله فى الآخرة.

يقول بهلول المجنون :

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه

ندعو الله –عز وجل– أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يوفقنا لما فيه رضاه ، ويغننا بفضله عمن سواه .

obeikandl.com

عابدات زاهدات

obeikandl.com

obeikandl.com

عابدات زاهدات

وهناك عابدات زاهدات مجهولات الأسماء ، ولهن قدم راسخة فى الورع والزهد ، وخشية الله –عز وجل– فيروى لنا " عبدالله بن المبارك " أن امرأة قالت للسيدة الفضلى " عائشة بنت أبى بكر – رضى الله عنهم– جميعاً : " اكشفى عن قبر النبى – صلى الله عليه وسلم– فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت [1] .

وهذا دليل حاسم على فرط حبّها لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعشق ما بعده عشق ، ذلك الأمر الذى جعل المرأة العابدة تبكى على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حتى تفارق الحياة ، وتلك هى حلاوة الإيمان حيث يقول النبى – صلى الله عليه وسلم– ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار " .

ولا غرو ، ولا عجب فى أن تبكى هذه المرأة العابدة على فراق رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حتى تموت ، فذلك هو الحبّ الخالص لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– الذى انتشل البشرية من ظلام دامس ، وجاهلية جهلاء ، وأمية نكراء إلى نور ساطع ، وشمس مشرقة ، وحقاً : فمن ذاق عرف ، ومن حرم انحرف .

---

(1) صفة الصفوة / جـ صـ٤١٠ .

Obeikandl.com

وهناك عابدة أخى مجهولة الاسم أيضاً .

يروى لنا عنها " إبراهيم بين عبدالله المدينى " حيث يقول : "حدثنى أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم، فإذا هى بجمجمة قد بدت ، فو الله ما عاورتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة ، يقول : فصرخت ثم رجعت منيبة ، فدخل عليها نساؤها فقلن : ما هذا ؟ فقلت :

بكى قلبى لذكر الموت لمّا رأيت جماجماً جوف القبور

ثم قالت : أخرجن عنى فلا تأتين منكم امرأة ترغب فى خدمة الله تعالى ، ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك [1] .

وهذه المرأة العابدة ، والتى رأت جمجمة لميت فذكرتها بالموت والدَّار الآخرة ، فعرفت أنها ستلاقى مثل هذا المصير حيث تحلل جسم الإنسان ، ونخر الدود عظامه ، وأصبح أثراً بعد عين ، فدعاها ذلك إلى البكاء المرّ ، والنحيب الشديد خشية لله –عز وجل– حيث أقبلت على عبادة الله وطاعته حتى ماتت وهى متبتلة ، زاهدة عابدة .

أرأيت العباد ؟ أرأيت الخوف من الله –عز وجل– ؟ أرأيت كيف كان الاستعداد للموت ، ونحن فى دنيانا نودع فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ميتاً ، أو أكثر من ميّت ولا نتعظ ، ولا نحاول الأوبة إلى الله –عز وجل– حيث قساوة القلوب ، وإلا نهماك فى أمور الدنيا حيث عمَّرنا الدنيا بكل غالٍ ومرتخص ، وخربنا الآخرة بأعمالنا الفاسدة فيجب علينا

(1) ذاته صـ ٤١٠ .

أن نتذكر هازم اللذات ، ومفّرق الجماعات وميتم البنين والبنات ، وأن نعمل حساباً للقبر وهو أول منازل الآخرة حتى يكون لنا روضة من رياض الجنة .

وهذه عابدة اخرى مجهولة الاسم ..

يروى لنا عنها " أبو أيوب " وهو رجل من قريش فيقول : " إن امرأة من أهله كانت تجتهد فى العبادة ، وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال : إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح ؟ لو أفطرتِ وقصرتِ عن الصيام والقيام كان أدوم لكِ وأقوى . قالت : فلم يزل يوسوس لى حتى هممت والله بالتقصير . قالت : ثم دخلت مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– معتصمة بقبره ، وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله ، وصليت على رسوله ، ثم ذكرت ما نزل بى من وسواس الشيطان ، واستغفرت ، وجعلت أدعو الله أنة يصرف عنى كيده ووساوسه ، قالت فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول :

" إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ " (١) .

قالت : " فرجعت مذعورة وجلة القلب فو الله ما عاودتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة " (٢) .

---

(1) سورة فاطر آية رقم (٦) .

(2) ذاته صـ ٤١١ .

فهذه عابدة وسوس لها الشيطان بأن تترك العبادة ، وتريح جسدها الذى أرهقه الصوم ، وذهبت بنضارته العبادة إلا من نور الإيمان الذى يملأ القلب ، ويجعل الوجه مشرقاً وضّاء حتى همّت بالتقصير ولكنها همّت بالعلاج من وساوس الشيطان فدخلت المرأة مسجد النبى – صلى الله عليه وسلم– واعتصمت بقبره –عليه السلام– بين المغرب والعشاء ، فحمدت ربها –عز وجل– ، وصلت على رسوله –عليه السلام– وذكرت ما ينزل بها من وساوس الشيطان ، وتضرعت إلى الله –عز وجل– متوسلة برسوله –عليه السلام– داعية أن يصرف الله عنها كيد الشيطان ، ووساوسه ، وبينما هى كذلك إذ سمعت صوتاً من ناحية من نواحى القبر يتلو قول الله –عز وجل– إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، ثم رجعت المرأة العابدة الزاهدة الورعة التقية ، وجلة القلب خائفة ، ولكنها حظيت بما كانت ترجوه من صرف كيد الشيطان عنها وحفظها من وساوسه ، وتلك عناية الله –عز وجل– بعباده الطائعين الذين يخشون ربهم ، وتأبى أعينهم أن تكتحل بنوم طمعاً فى رحمته ، وخوفاً من عذابه . إنهن بحق قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

وعابدتان مدنيتان :

بلغنا عن " عبدالله بن أخت مسلم بن سعد " أنه قال " أردت الحج فدفع إلىّ خالى "مسلم" عشرة آلاف درهم ، وقال لى : إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها ، فلما دخلت سألت عن

أفقر أهل بيت بالمدينة ، فدلونى على أهل بيت ، فطرقت الباب ، فأجابتنى امرأة من انت ؟ فقلت : أنا رجل من أهل " بغداد " أودعت عشرة آلاف درهم ، وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وصفهم لى فخذوها ، فقالت " يا عبدالله إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت ، وهؤلاء الذين بإزائنا يعنى بجوارنا أفقر منا ، فتركتهم ، وأتيت أولئك ، فطقت الباب فأجابتنى امرأة فقلت لها : مثل الذى قلته لتلك المرأة ، فقالت : " يا عبدالله نحن وجيراننا فى الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم " (١) .

حقاً هؤلاء هم العبّاد ، والزّهاد الذين اتجهوا بكليتهم إلى الدار الآخرة حيث النعيم المقيم الأمر الذى جعل المرأة تقول للرجل جراننا أفقر منا فأعطهم العشرة آلاف درهم ، ثم انظر متأملاً معى كيف كان رد أهل البيت الآخر حيث قالت المرأة : يا عبدالله نحن وهم فى الفقر سواء ، فاقسم العشرة آلاف درهم بيننا وبينهم ، ذلك هو الإيثار ، وخلق المسلم ، وصدق الله تعالى إذ يقول : " ويؤثرون على أنفسهم ولو وكان بهم خصاصة ، ويقول سبحانه : " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، فليتأمل هذا أهل الجشع الذين يتصارعون على اكتناز المال ، وتحقيق الثروات الطائلة ، وجمع المال من طرق مشروعة وغير مشروعة ، ومن حلال مرة ومن حرام مرَّات دونما خشية من الله –عز وجل– .

(1) ذاته صـ ٤١١ .

فواجب على المسلم أن يتحرى الحلال ، فالماء كالماء الملح كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً ، ويقول الشاعر :

فمـا المـال والأهلـون إلا ودائـع ولابـدّ يومـاً أن تـرد الودائـع

فحقاً إن المال ظل زائل ، وعارية مشددة ، فليتخذ المسلم من العابدات الزاهدات مثلاً يحتذ به فى دنياه ليسعد فى أخراه .

obeikandl.com

سكينة بنت الحسين

obeikandl.com

obeikandl.com

سكينة بنت الحسين

هى الزاهدة ، الورعة ، السيدة ، الجليلة ، ذات النبل ، والمقام الرفيع ، سكينة بنت الحسين بنت على بن أبى طالب . وهذا الاسم وهو " سكينة " لقى لقيتها به أمها " الرباب بنت امرىء القيس ، واختلف فى اسمها ، فقيل " آمنة " وقيل : أمينة ، وقيل : أميمه [1]

روت عن أبيها ، وكانت بديعة الجمال ، تزوجها ابن عمها "عبدالله بن الحسن الأكبر " ، فقتل مع أبيها قبل الدخول بها ، ثم تزوجت مصعب " أمير " العراق " ثم تزوجت " عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام ، فولدت له " قُرَيْمَاً " ثم تزوجها " الأصبغ بن عبدالعزيز ابن مروان " وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها " زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان –رضى الله عنه– فأمره " سليمان بن عبدالملك " بطلاقها ففعل وكانت شهمة ، مهيبة دخلت على " هشام " الخليفة فسلبته عمامته ، ومطرفة ، وفوطقته ، فأعطاها ذلك ولها نظم جيد ، وكانت تجالس الأجلة من " قريش " . تجتمع إليها الشعراء ، والأدباء ، والمغنون فيحتكمون إليها ، فيا أنتجته قرائحهم فتبين لهم الغث من السمين ، وتناقش المخطىء مناقشة علمية فيقنع بخطئه ، ويقر لها بالفضل ، وقوة الحجة وسعة الاطلاع .

(1) أعلام النساء / لعمر رضا كحاله جـ٢ صـ٢٠١ وهامش الصفحة .
سير أعلام النبلاء / للذهبى جـ٦ صـ٨٤ .

فمن ذلك أنه اجتمع بالمدينة رواية " جرير " ورواية " كثير " ، ورواية " نُصَيْب " ورواية " جميل " ، ورواية " الأحوص " فادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر ، ثم تراضوا " بسكينة بنت الحسين فأتوها فأخبروها فقالت لصاحب " جرير " أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام
وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق قبّح الله صاحبك وقبّح شعره

ثم قالت لصاحب " كثّير " أليس صاحبك الذى يقول :

يقرّ بعينى ما بقر بعينها وأحسن شىء ما به العين قرت
كأنى أنادى صخرة حين أعرضك من الصم لو تمشى بها العصم زلّت
صفوحاً فما نلقاك إلا نجيلة فمن ملَّ منها ذلك الوصل ملّت
خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكما ثم أبكيا حيث قلت

فليس شىء أحب إليهن ، ولا أقر لأعينهن من النكاح أفيحب صاحبك أن ينكح قبحة الله وقبح شعره [1]

ثم قالت لرواية " جميل " أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى
فإن وجدت فعل بأرض مضلة من الأرض يوماً فاعلمى أنها فعلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلى

ثم قالت لصاحب .. نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

(1) ذاته .

أهيم بوعد ما حييت فأن أقف فوا حزنى من ذايهيم بها بعدى

كأن يتمنى لها من يتعشقها بعده قيح الله صاحبك ، وقبح شعره الآمال :

من عاشقين تراسلا وتواعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقاً

قال : نعم . قالت قبحة الله ، قبحة الله ، وقبح شدة ألا قال تعائقا [1] .

وفى رواية أنه اجتمع فى ضيافة " سكينة بنت الحسين ، جرير والفرزدق ، وجميل ، والنُّصيب ، فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا فقعدت حيث تراهم ، ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، فأخرجت إليهم جارية لها وضيئة ، وقد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيكم " الفرزوق ؟ فقال الفرزوق : ها أنا ذا ، قالت : أنت القائل :

هما دّليانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا أحىّ يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأسبا لا يشعروا بنا ووّليت فى أجاز ليل أدباره

أحاذر بوابين قد وكلا بنا أو احمر من ساج تئط مسامرة

فأصبحت فى القوم القعود وأصبحت مغلقة دونى عليها ساكره

يرى أنها أضحت حصاناً وقد جرى لنا يرقاها ما الذى أنا شاكره

(1) ذاته صـ٢٠٤ .

قال : نعم أنا قتلته . قالت : ما دعاك إلى إفشاء سرك وسرها أفلا سترت على نفسك وعليها ، خذ هذه الألف درهم وانصرف .

قال : بل اتركها واللحاق بأهلى أجمل ، ثم دخلت وخرجت فقالت : أيكم جرير ؟ قال : ها أنا ذا قالت أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغّر كأنه برد تحدَّر من فنون غمام
لو كان عهدك كالذى حدثينا لوصلت ذاك فكان غير رمام
إنى أواصل من أردت وصاله بحبال لا صلق ولا لوام

قال جرير : أنا قلته . قالت : أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت فادخلى بسلام أنت رجل عفيف .. وقيل ضعيف .. خذخ هذه الألفين درهم والحق بأهلك .

وخرج " الفرزوق " حاجاً فلما قضى حجة عدل إلى المدينة فدخل إلى " سكينة بنت الحسين " فسلم . فقالت له : يا فرزوق من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت أشعر الناس منك جرير الذى يقول :

بنفسى من تجنبه على عزيز على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقتنى إذ هجع النيام

فقالت والله لو أذنت لأسمعتك أحسن منه ، قالت : أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ، فقالت : يا فرزوق من أشعر الناس؟ قال: أنا ، قالت : كذبت صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعنت الأسرار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهمو ونهار

فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعك أحسن منه . فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها فى اليوم الثالث وحولها مولدات كأنهن التماثيل . فنظر " الفرزوق " إلى واحدة منهن فأعجب بها وبهت بنظر إليها ، فقال له " سكينة " يا فرزوق من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إن العيون التى فى طرفها من قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
أتبعتهم قلة إنسانها غرق هل ما ترى تاركاً للعين إنساناً

فقال : والله لئن تركتينى لأسمعتك أحسن منه . فأمرت بإخراجه فالتفت إليها وقال : يا بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إن لى عليك حقاً عظيماً ضربت إليك من مكة إرادة التسليم عليك فكان جزائى من ذلك تكذبينى وطروى وتفضيل "جرير" علىّ ومنعك إياى أن أنشدك شيئاً من شعرى وبى ما قدعيل منه صبرى وهذه المنايا تغدو وتروح ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت فإذا أنا مت فمرى بى أن أدرج فى كفنى وأدفن فى .. هذه الجارية يعنى التى أعجبته فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية فخرج بها آخذاً بريطتها ، وأمرت بالجوارى فدفعن فى

أقفيتها ونادته يا " فزروق" احتفظ بها وأحسن صحبتها فإنى أثرتك بها على نفسى [١] .

ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم ، من ذلك أنه يروى أنها وقفت على " عروة بن أذينه – وكان من أعيان العلماء ، وكبار الصالحين وله أشعار رائقة – فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدتُ أدار الحبّ فى كبدى أقبلت نحو سقاء الماء أبترد
هبنى بردت يرد الماء ظاهره فمن لنارِ على الأحشاء تتقد

فقال لها : نعم ، فقالت : وأن القائل :

قالت وأبثثتها سرّى قبحت به قد كنت عندى تحبُّ الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها غطّى هَواكِ وما ألقى على بصرى

فقال : نعم ، فالتفتت إلى جَوارٍ كنت حولها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم قط .

وكان لعروة المذكور أخ اسمه "بكر" فمات فرثاه " عروة " بقوله :

سرى همَّى وهمّ المرء يسرى وغاب النجم إلا قيد فِتْر [١]

(1) ذاته صـ٢٠٦ .

أراقـب فـى المجسـرَّة كـلَّ نجـم تعـرض أو علـى الجـراة يجـرى
لهـــم مـــا أزال لـــه قرينـــا كـأن القلـب أبطـن حّـرَّ جمـر
علـى بكـر أخـى فارقـت بكـراً وأىَّ العـيش يصـلح بعـد بكـر ؟

فلما سمعت " سكينة " هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟ فوصف لها فقالت : أهو ذلك الأسَيَّد الذى كان يمر بنا ؟ قالوا : نعم ، قالت : لقد طاب بعده كل شىء حتى الخبز والزيت ، وأسَيَّد تصغير [٢] أسود .

وكانت دفاتها – رضى الله عنها– سنة سبع عشرة ومائة [٣] .

وفى أعلام النساء أن سكينة بنت الحسين – رضى الله عنه آل البيت جميعاً– توفيت بالمدينة لخمس خلون من ربيع الأول سنة ١١٧هـ .

(1) مرآة الخبان جـ١ صـ١٩٧ .

(2) وفيات الأعيان / لابن ملكان المجلد الثانى صـ٢٦٨ .

(3) الفتر : بكسر الفاء وسكون التاء المسافة بين رأسي الأبهام والسبابه حال فتحها .

obeikandl.com

وكان والياً على المدينة " خالد بن عبدالله بن الحارث ، فى خلافة "هشام" وقيل توفيت بمكة فى الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٦هـ [1] .

ويذكر صاحب سير أعلام النبلاء وفاتها فيقول : توفيت فى ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة . قلما روت .

ويذكر وفاتها صاحب الوفِياتِ – وكانت وفاة سكينة بالمدينة يوم الخميس خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة –رضى الله عنها – وهو الصواب والراجح .

رضى الله عن آل البيت ..

(1) تاريخ ابن خلكان ومرآة الجنان وشذرات الذهب ، وأعلام النساء جـ٢ صـ٢٢٤ .
ونور الأبصار / لمؤمن الشيلخى ، والخطط التوثيقية / لعلى مبارك .

obeikandl.com

معاذة بنت
عبدالله العدوية

obeikandl.com

obeikandl.com

معاذة بنت

عبدالله العدوية

هى العايدة ، الزاهدة ، والورعة التقية ، والمسلمة النقية " معاذة بنت عبدالله العدوية " . وكانت من ربات الفصاحة والبلاغة ، والتفقه فى الدين ، والنسك والزهد، وكانت – رحمها الله– تسكن "البصرة" بالعراق ، وكانت – رحمها الله تعالى– إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم ، وكانت تحى الليل بالصلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : " يا نفس النوم أمامك فإن نمتِ الآن طالت رقدت فى القبر على حسرة يعنى ستندمين على النوم حين ترقدين فى القبر ، فهى تحفز نفسها على العبادة وتحاور نفسها قائلة لها : إن النوم أمامك طويل حين ترقدين فى القبر فيجب عليك ألا تنامى هنا ، حتى لا ترقدين فى القبر نادمة على ما فرطتِ فى جنب الله وفى جنب نفسك ، فسيكون هناك ندم ، ولات ساعة مندمِ ثم لا تزال تدو فى الدار إلى الصباح خشية أن تموت على غفلة ونوم ، وكانت تصلى فى كل يوم وليلة " ستمائة ركعة " ولم ترفع بصرها إلى السماء أربعين سنة .

وكانت تقول : " عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور . وعن امرأة أرضعتها " معاذة قالت : قالت لى معاذة : " يا بنية كونى من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء ، فإنى رأيت الراجى محفوفاً

بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف له مؤملاً له زمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت ، ومعنى ذلك يا بنية كونى على حذر من عذاب الله ، ورجاء وطمع فى رحمته ومغفرته فإن الذى يرجو رحمة ربه قريب من الله وذلك يوم يلقاه ، وإن الخائف من الله –عز وجل– له أمل فى ربه –عز وجل– فى الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ولما مات زوجها لم تتوسد فراشها حتى ماتت وكانت تقول : والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربى بالوسائل لعله يجمع بينى وبين الصهباء وولده فى الجنة وكانت تكنى . معاذة بأم الصهباء . ومن أقوالها : صحبت الدنيا سبعين سنة فما رأيت فيها قرَّة عين قط يعنى أنها لم تر سروراً فى الدنيا ، ولم تهنأ بالحياة .

وروت . معاذة رحمها الله تعالى – عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها– وهشام بن عامر ، وأم عمرو بنت عبدالله بن الزبير وروى عنها . أبو قلاية ، وقتادة ، ويزيد الرشك وأيوب ، وعاصم الأحول ، وسليمان بن عبدالله البصرى ، وإسحاق بن سعيد ، وأم الحسن جدة أبى بكر العدوى ، وإسحاق بن سويد وغيرهم ، وروى لها الجماعة ، وقد أخبرنا " ثابت البنانى . أن " صلة بن أشيم " كان فى مغزى ومعه إبن له ، فقال : " أى بنى : تقدم فقاتل حتى أحتسبك يعنى أدخر أجر جهادك ، وموتك فى سبيل الله عند الله –عز وجل– فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم –صلة بن أشيم– فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته " معاذة العدوية " فقالت مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئتنى فمرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن

بغير ذلك فارجعن ، ويروى انه لما قتل " أبو الصهباء" وقتل ولدها قالت " والله يا بنيه ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ، ولا للروح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى –عز وجل– بالوسائل آملة يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة .

ويروى لنا روح بن سلمه الوراق ، فيقول : سمعت " عفيرة العابدة " تقول : بلغنى أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت ، فقيل لها : مم بكيت ثم ضحكتِ ؟ فم البكاء ومم الضحك ، قالت معاذة العدوية : أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام، والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى "أبى الصهباء" قد أقبل فى صحن الدار ، وعليه حلَّتان خضراوات ، وهو فى تفسر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهاً ، ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضاً فماتت –رحمها الله– قبل أن يدخل وقت الصلاة .

وقال يحى بن معين : معاذة العدوية : ثقةَ حجة ، ولحقت بالرفيق الأعلى – رحمها الله تعالى– سنة واحدة ومائة من الهجرة النبوية ، وقال ابن الجوزى انها توفيت سنة ثلاث وثمانين للهجرة :

١– أعلام النساء جـ٥ صـ٦٠ ، ٦١
صفة الصفوة / لابن الجوزى
تهذيب التهذيب / لابن حجر

لواقح الأنوار / للشعرانى
البيان والتبيين / للجاحظ
مسند أبى داوود
مرآة الجنان / لليافعى
شذرات الذهب / لابن العماد
طبقات ابن سعد
طبقات الأتقياء / لابن حبان
التذهيب / للذهبى

obeikandl.com